عدة من مؤلفاته وفتاويه، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم في بعض مؤلفاته مثل كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكتاب الكافية الشافية

وقد عد الامام أبو القاسم الطبري الحافظ في كتابه (شرح أصول السنة) من قال «القرآن كلام الله غير مخلوق» نحواً من خمسمائة وخمسين نفساً من التابعين الائمة المرضيين، على اختلاف الاعصار، ومضي السنين والاعوام، (قال) وفيهم نحو من مائة امام، ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم، لا ينكر عليهم منكر، (قال) ومن أنكر قولهم استتابوه، او أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه [1] قال ولا خلاف بين الامة ان أول من قال «القرآن مخلوق» جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ومائة ثم جهم بن صفوان اه (للرسالة بقية)

فرنسا الاسلامية

جاء في جريدة (المفيد) المفيدة تحت هذا العنوان ما يأتي:

أثبتنا منذ أيام في صدر هذه الجريدة تعريب مقالة للطان أثبت فيها حكومتها على ادارتها الجائرة في المستعمرات الافريقية ثم عثرنا اليوم على العدد الاول من جريدة فرنساوية صدرت حديثاً في باريس عنوانها «فرنسا الاسلامية» ومديرها الموسيو بول بروزون. غايتها البحث في أفريقية الفرنساوية، وحض حكومة الجمهورية على تبديل شكل ادارتها في هذه البلاد، لاجل استرضاء أهلها والاستيثاق من مودتهم، وجميع ماتقدم يدل دلالة واضحة على ان اكثر المفكرين من أمة الفرنسيس يرون ان استمرار فرنسا على انفاذ الخطة الادارية المعتادة في افريقية الشمالية، أمر يضر بسياستها أعظم الضرر فضلا عن كونه لايتفق مع مبادئ دولة اشتهرت بانها مهد الحرية

(١) هذا موضع الشاهد من قولنا في الترجمة: والاغراء بهم

واذ كان يهم القراء جدا أن يعرفوا ماتقول جريدة « فرنسة الاسلامية » ولا سيما في عددها الاول ، فقد بادرنا الى تعريب افتتاحيته وهي الآتية :

ان عنوان هذه الجريدة يفيد خلاصة كل آرائنا ويعرّف بدون إشكال القصد الذي ندعي انا نتبعه . وان هذا العنوان بمثابة ضمانة للنصح المتبادل ، وبمثابة صورة للارتباط ، ثم على التقريب بمثابة رمز للاتفاق ، بين شعبين كانا في الامس متخاصمين متعادين ، ولكن قضت المقادير بان يدنو أحدهما من الآخر ليسيرا غدا في طريق مشترك . وانه يبين انا المجاهدون المفتخرون بفائدة سياسة الاتفاق ، باكثر مما يمكن تبيينه بالارشادات الطويلة

لا مشاحة في ان فرنسة بفتوحاتها الافريقية قد اكتسبت حقوقاً . ولكن لا مشاحة أيضاً في انها بالفتوحات المذكورة أصبحت مسؤولة عن واجبات مقدسة ، بازاء الذين وضعتهم تحت سيطرتها ، وهي لا تستطيع انكار ذلك

ان مستقبل هذه الامبراطورية الاسلامية الواسعة متوقف جميعه على الصورة التي تعرف بها فرنسة ان تطابق بين هذه الحقوق ، وهذه الواجبات

ان هذه الامبراطورية التي اكتملت اليوم باحتلال مراكش تشتمل على عدد من السكان يمكن تقديره بدون مبالغة زهاء عشرين مليون نسمة ، وكلهم يجمعهم دين واحد ، ولهم احترام شديد لتقاليدهم القديمة المتشابهة ، وهذا مايجده كل انسان مشروعا لهم ، فعلى أية طريقة يناسب فرنسة ان تسلك بازاء هذا الجمهور الفائق الاذكار الذي يرمقها بنظرات مملوءة من الرجاء ، ومملوءة من الوجل أيضاً ؟ هل يبدو لها ان تسحقه بتوحش ، وتدفعه نحو الصحراء ؟ هل يبدو لها ان تحكم عليه بالنفي ؟ هل يبدو لها ان تستعبده استعباداً شافاً ؟ كل ذلك من المناهج الجرمانية التي لا يستطاع تأليفها مع مزية فرنسة الشريفة الفائقة في العدالة والرقة . كيف هذه الامة الكريمة ـ التي لم يكن المتظلمون يستنجدونها عبثاً ـ ترضى بان تتحمل مسؤولية ثقيلة مثل مسؤولية بولونية ، وفنلندة ، والالزاس واللورين ؟ هل يقضي لها ان تنكر أعمالها ، والعبارات الجميلة التي كتبتها بدماء شهدائها في الصفحات الاولى من دستورها ؟ كيف تجسر على ان تصادم الاحكام التاريخية ، حين ترتكب هي نفسها شتم الكلمات الثلاث البديعة « أي حرية مساواة إخاء » التي خطتها في ضميرها الثقي ، وعلى عتبات جميع هياكلها وقصورها ؟ ومع ذلك فانه عندنا كل مسئلة شعورية ، فان مصلحتها عينها تستدعي منها ان تتخذ لها موقفا غير هذا . انها اذا كانت في حكمها بمنزلة الام الظالمة ،

فانها تثير عليها في وسط حوزتها كثيراً من الاضغان ذات الخطر . وبالعكس ، انها بالعدل والرفق وباجراء مايستلزم عرفان الجميل تزيد قابلية النجاح في عملها الفائد الى نشر المدنية .

ان الاعتماد على القوة وقت مزاولة الفتح هو لازم لسوء الحظ . فما دامت البلاد الخاضعة في ثورة مستمرة ، وما دامت غير خالية من الهرج بالكلية ، فان استعمال الطرق القسرية مما يجوز فيه قبول العذر . ولذلك لانجادل في التدابير الاستثنائية التي ظنوا انه كان يجب العمل بها في الجزائر حين كان الشعب بتمامه خاضعاً لتأثير الجمعيات الدينية المؤسفة ، وحين كانت أصوات مشايخ الزوايا تصادف مكاناً من قلبه . فالذي يحسن منا تقديره الآن هو انه لم يعد لهذه الخطة حق في الوجود ، وانه من الواجب على فرنسه ان تستبدل بها في القريب العاجل خطة أخرى أكثر حرية وعدلا ، وبذلك ترسم في افريقية أثراً مفيداً وثابتاً

فمن جراء تأثير المدرسة العبدية (١) وهي من اهم المدارس اللاهوتية ، وهي التي اسبابها ونتائجها تنطبق انطباقاً غريباً على الاسباب والنتائج المكونة للحركة الفكرية الكبيرة القائمة حول الاصلاح — من جراء تأثير هذه المدرسة اخذ الاسلام في الانحلال . ان تلاميذ الشيخ (محمد) عبده دخلوا في محاربة المتعصبين في الدين تعصباً أعمى . وهم يستنكرون كل البدع ، ويرفضون سلطة اصحاب المذاهب . واذ كانوا خصوما للتعصب الشديد فهم يطلبون التساهل الواسع . والشيخ عبده في تفاسيره للكتب الدينية يفصل العلم ومبدأ الاجتماع اللذين يوضعهما الى اقصى درجاتهما عن حيز العقيدة الذي ينبغي ان يبقى قياً ضمن أصول ثابتة . وبهذه الصورة لا يكون الشيخ عبده مقاوماً للدين كما يدعي اعداؤه ، بل ان هذا اللاهوتي العظيم كان متقيداً تمام التقيد بأحكام القرآن والسنة . وهو بذلك يعيد الاسلام الى طهارته الاصلية ، ويعيده الى شبابه من حيث ملاءمة التقاليد والنصوص . وبتأثيره النافع تصير شريعة النبي «ص» كما وجب ان تكون في كل آن : أي دين التوحيد الحر المعقول الخالي من الاكليروس ومن التكاليف تقريباً ، الذي يبث في النفوس ادبا يقع تحت طلاقتها ، والذي بقاعدته السالمة من كل روح احبارية استطاع ان يخرج الى العالم مدينتين مثل بغداد وقرطبة

(١) يريد بالمدرسة العبدية طريقة استاذنا الشيخ محمد عبده في فهم الدين والعلوم شؤون الاجتماع التي تنشرها المنار

فالمدرسة البدية من الآن فصاعدا تفسح للمسلمين العاملين بدون تقييد مجالا واسعا للنجاح ، وهي تسمح لهم فوق ذلك بان يمتزجوا بالمعاطفة مع الشعوب الغربية. فالهند ومصر وسورية مديانات لهذه المدرسة بنجاح مدهش . ومنذ سنوات انتشرت هذه العقيدة في افريقية الفرنسية ففي بلدي الاس هزت تونس هزة نشاط كبيرة ، واليوم قد امتدت الى الجزائر وغداً ستنبه مراكش

فلا جرم ان هذه الحركة هي من الحركات التي تستحق اهتمام اوربة . فانكلترة وروسية وهولندة اللواتي عندهن مستعمرات اسلامية ، والمانية وايطالية اللواتي لهن الأمل بأن يصير عندهن من ذلك ـ كل هذه الدول ينظرن الى هذه الحركة باعتناء ولكن يظهر ان فرنسة وحدها غير شاعرة بها

ان هذه الغفلة « أي غفلة فرنسة » الخارقة للعادة : والتي هي من قبيل الاثم وجلب الاخطار قد استمرت زمناً طويلا وهي تعرقل مجهوداتنا في السياسة الافريقية فمن اللازم ان تنتهي .

ان فرنسة يجب عليها تلقاء نفسها ان تهتم بهذه المسئلة مثل جاراتها بل أكثر ، لانه قد يتفق لسوء الحظ ان تصير اثنتان أو ثلاثة منهن عدوات لها في هذا المكان في المستقبل الاسلامي فينبغي لها ان تتخذ موقفا بازاء هذه الحركة التي اشرنا الى اسبابها ومنازعها .

هل يخطر لها ان تعاقها ؟ ان ذلك لا يكون من الظلم الشنيع فقط ، بل من الطيش الذي لا فائدة منه أيضاً . لا يمكن توقيف الشعوب متى كانت أحكام المقادير الماضية تدفع هذه الشعوب رغماً عن نفسها ! اذا تظاهرت فرنسا بمناهضة هذه الحركة الوطنية في شمالي أفريقية ، فانها لا تستطيع ان تمنع شيئا ، فان هذه الحركة مع ذلك تجري ، ولا يكون نتيجة لهذا الحساب الفاسد الا ان تكوّن أعداء ألداء من الذين تستطيع ان تجعلهم معاضدين وأصدقاء ان لم تستطع جعلهم أبناء . وبالعكس اذا كانت تريد ان تظهر لهم الاعطاف ولا تتوقف عن منحهم مساعدة حرة خالصة فانها تستخرج لها من هذه الحركة نفسها فوائد فائقة الحد . لانها أولا اذا سلكت هذا المسلك فانها تقدر ان تراقب الحركة وان تديرها ، وان تدخل فيها معارفها ، ثم بعد ذلك تتضافر مع عليسة القوم على انفاذ ماتريد ان تعمله من نشر التمدن . وهذا شيء لا يعادله ثمن

لاينبغي لنا ان نقع في الوهم : اذا كنا لانعتمد على وساطة الاشخاص الذين لهم

علاقة ضئيلة بالتقاليد الموروثة وبالايمان ، فانا لا نستطيع أبداً ان نتغلغل الى الاجزاء العميقة من الشعب ، لان هذه الاجزاء بعيدة ، ولا ثقة لها بنا ! فهل نستطيع ان نعرف ماذا يصدر عنها ؟ هل نستطيع ان نقدّر الآمال التي تعقد لديها ، والاضغان التي تحمو عندها ؟ انها بلا جدال عرضة لنفوذ الجمعيات الدينية ، ومشايخ الزوايا . ولكن هل نعرف أين ؟ وكيف ؟ والى أية درجة ؟ وفوق ذلك ينبغي ان لا ننسى الامم المعادية لنا التي ترجو ان تغلبنا يوماً ما من جراء الصعوبات التي نصادفها هناك ، وان لهذه الامم هناك عمالا سريين عديدين يعرفون حق المعرفة ان يستخرجوا من الجهالة نفعا . وفي مقابلة ذلك نحن المعدودون أصحاب البلاد ، من اجل اننا أصحاب البلاد ليس عندنا شيء من السلاح ، ولعمري ان حنانا ينشئ لنا سلاحاً كافياً . ان هذا الحنان يساعد على ان يكون لنا في البلاد من أهل العرفان والتفكير والفهم رجال يقاومون الجمعيات الدينية ومشايخ الزوايا . فتصير عامة القوم في جانبنا ، أو في جانب خصومنا هو مما يتعلق بنا لا بغيرنا

في الوقت الحاضر رغماً عن انجلاء بعض الاوهام ، فان هذه الطبقة التي ذكرناها لم تزل تمنع من الالتفات الى جهة فرنسة وهي مسوقة الى ذلك باسباب عديدة : أهمها ميلها الشديد الى حفظ مصالحها الاولية ، ذلك الميل الذي تكون شدته على قدر المعرفة لمسائل الامم فهل تنكر هذا الاستعداد الميمون وتحتقر الفائدة التي تجم عنه لنا ؟ ان ذلك يكون خطيئة لا تغتفر ! ان هذه المسئلة مما لها يستحق الانتباه ، فان الساسة العالمية عرضة للتبدل ، وانه لدى حالة كهذه قد يعرض لنا أسباب للندامة من حيث اننا لم نكن أكثر استبصاراً وكياسة مما كنا . فيلزم ان نعمل العكس وهو ان نحكم الرابطة التي تربطنا بسكان هذا الوطن بنا ، وان نبدي لهم بأننا سعداء ومعلمتون بقبول معاضدتهم لنا في الامر . ومن أجل ذلك فانه من الواجب على حكومة الجمهورية ان تعمد في القريب العاجل الى اتخاذ سياسة حرة عادلة في أفريقية الشمالية

ونحن عازمون على ان نطاري هذه السياسة ، وان ندافع عنها

ان الذي تحتاج اليه امبراطوريتنا الافريقية هو القوانين الدستورية اه

(المنار) اننا لما صار لنا صلة بأهل تونس والجزائر وعلمنا من عقلائهم وأهل البصيرة فيهم حقيقة ما يشكونه من سياسة فرنسة وادارتها لبلادهم كنا نتعجب من أمر هذه الدولة التي تجمع بين الاضداد اذ هي في أوربة على ضد ما هي في أفريقية ، هي في أوربة أم الحرية والمساواة وناشرة لواء العلوم والفنون وما شم مسلمو أفريقية

رائحة ذلك منها في بلادهم - هذه الرائحة الطيبة التي تحيا بها الامم - بل شموا عوضا عنها رائحة خبيثة ، كما نرى مسلمي هذه البلاد ينفضون هذه الدولة ويتربصون بها نوائب الدهر ، ويتمنون لو تيسر لهم الهجرة من بلادهم ولا نرى مثل هذا من مسلمي الهند ولا من غيرهم من مسلمي المستعمرات الاوربية حتى مسلمي روسية دولة التعصب الديني والسلطة المطلقة الاستبدادية ، فقد كتب الي كثير من أهل القوقاس يقولون انه قيل لنا انه يجب علينا الهجرة من بلادنا الى بلاد حكومتها اسلامية وانا لا نود ان نبتغي بلادنا بدلا الخ

كنا نتعجب من هذه الطريقة التي جرت عليها فرنسة في تونس والجزائر ونرى انه يمكنها ان تملك قلوب المسلمين كما ملكت ادباء بلادهم اذا هي أخلصت النية في تعليمهم علوم العمران مع عدم التعرض لحريتهم الدينية وعدم الطمع في سلبهم رقبة بلادهم، ولا ندري أيجهل أهلها هذا الامكان أم لا ، وكيف يجهلونه على ذكائهم وفطنتهم ؟ ولماذا لا يعملون به اذا كانوا يعلمونه وهم أبعد الناس عن التعصب الديني الذي يمنع غيرهم من مثل ذلك ؟

ثم اننا صرنا نسمع حينا بعد حين أصواتاً حرة من جو فرنسة نفسها تنبئ بهذا الامكان وتدعو الى سلوك سبيله ، ومن العجيب ان جريدة الطان التي هي لسان نظارة خارجية فرنسة كان يندر منها مثل هذا الصوت الذي سمعناه في هذه الايام من جريدة فرنسة الاسلامية . نوه أحد مكاتبي الطان منذ سنين بمثل ما نوه به هذه الجريدة اليوم وذكر مايسميه بعضهم (المدرسة العربية) وصرح بأن المنار هو الذي نشر هذه الفكرة الاصلاحية في تونس وان أهلها هم المعتدلون الواقفون بين العوام وزعمائهم من شيوخ الدين والطريق الجامدين الذين لا يريدون تغيير شيء مما هم عليه وبين المتفرنجين الذين انسلخوا من دينهم وعاداتهم اتباعاً لشهواتهم. ومثل هذا صرح لورد كرومر في تقريره الذي تكلم فيه عن وفاة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) فقال ان تلاميذه وسط بين الجامدين الذين ينفضون المدنية والمتفرنجين الفاسدين ، لانهم دعاة للمدنية والتأليف بين المسلمين وبين غيرهم مع المحافظة على أصول دينهم، وقال انه يجب على جميع الاوربيين العطف عليهم ومساعدتهم

مرت السنون ولم نر لكلام الطان تأثيراً بل اننا نعلم حق العلم أن حزب (المدرسة العربية) في تونس وشعارهم قراءة المنار يرون أنفسهم تحت مراقبة من الحكومة

الفرنسية وان أهل التعصب والجمود وأعداء المنار تؤيدهم فرنسة أم الحرية لان زعامهم منافقون تستعملهم الحكومة في غش عوام المسلمين ، فلولا مظاهرة الحكومة لما كان دجال تونس داعية الخرافات ودعي الخوارق والكرامات يتجرأ على طبع قصيدة أخيه الدجال النبهاني في تكفير امام الاصلاح الاسلامي في هذا العصر السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده وتكفير صاحب المنار أيضاً . ولماذا يتكئ هذا الدجال على فرنسة وهي تعلم ان خرافات أمثاله هي التي تجعل الشعب الاسلامي عرضة لقبول الفتن والثورات ومقاومة المدنية ؟ السبب معروف وقد ظهر بأجلى مظاهره في العام الماضي عند ماقام هذا الدجال الخرافي يدعو المسلمين الى ترك الاعتصاب في حادثة الترام الشهيرة ، فكان هو أول من ركب ودعا المسلمين الى الركوب في الترام . ولكن لايليق بفرنسة أن تجعل أمثال هؤلاء الدجالين من أنصارها وأحزابها وقد انقضى الزمن الذي يروج فيه دجلهم في مثل تونس المستيقظة أو كاد

ان دعاة المدنية من المسلمين كزيدي (المدرسة العبدية) يودون الاستناد على تعليم أمتهم بفضلاء الاخصائيين من الاوربيين ، وقد رأت فرنسة في هذا العام ان أهل بيروت - أرقى مدن سورية - قاموا يطلبون بقرار من جمعيتهم الاصلاحية أن يكون في ولايتهم مستشارون ومفتشون من الاجانب ، وعلمت فرنسة ان الرأي الاسلامي العام في بيروت وسائر سورية يفضل كل دولة أوربية على فرنسة فيما يطلبه لبلاده من مساعدة الاوربيين ، وما سبب ذلك الا ادارتها وسياستها في تونس والجزائر ، ولولا ذلك لفضلوا فرنسة على جميع الاوربيين لان معظم مافي بلادهم من المساوئ وأسباب العمران هو فرنسي ، وقد تفضل ناظر خارجية فرنسة بمجاملة وفد المؤتمر العربي السوري الذي انعقد في باريس ووعده بالمساعدة ، فكان لهذه المجاملة وقع حسن في سورية

لاجل هذا كله أظن ان الزمان قد جعل صوت جريدة (فرنسة الاسلامية) مرجو القبول عند كثير من أحرار هذه الامة النجباء ، وانه ليس من المحال أن ينجح في حمل الحكومة على سن نظام دستوري عادل لادارة هذه الامبراطورية الاسلامية الافريقية ، وسترى فرنسة - ان هي شرعت في ذلك - ان العالم الاسلامي في سورية وسائر الاقطار يشكر لها عملها شكراً تحمد أثره في سياستها وأعمالها الاقتصادية ، وتجد لها من المسلمين أنصاراً لهم تأثير عظيم ويليق بمثلها أن تعتمد عليهم . ان هذا الصوت الفرنسي الفصيح المنعكس عن مدينة باريس الزاهرة قد تلاقى مع صوت مثله في أرقى مدينة اسلامية وهي مصر ، ألا وهو صوت المجلة الفرنسية المصرية التي أنشئت هناك حديثاً

﴿ المجلة المصرية الفرنسية ورأيها في المنار ﴾

يصدر هذه المجلة الاجتماعية المفيدة في القاهرة المسيو (بول تريبيه) مديرها والمسيو (جاك لاويفر) رئيس تحريرها . وقد ذكرت مجلة المنار في العدد الثاني وهذه ترجمة ما قالته فيها:

أصدر الشيخ محمد رشيد رضا أول عدد من المنار منذ ١٥ عاماً فلم يحض عليه ردح من الزمن حتى رفع مجلته الى المكانة الرفيعة التي تشغلها بحق وسط العالم الفكري الاجتماعي والعالم الديني الاسلامي بفضل الافكار الحرة الاصلاحية التي لم يفتر عن نشرها . واذ كان الشيخ رشيد التلميذ المخلص النبور لرجال الاصلاح مثل الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده فقد أخذ على نفسه ان ينشر أفكار وعقيدة هؤلاء المصلحين العظام . وأن يدافع عنها بكل غيرة وحمية مناضلا بكل حزم وعزم التقليد الضيق والخرافات العديدة والمحافظة على القديم المحفوفة بالوساوس وكل هذه الامور التي ساءت عاقبتها فأخرت ترقي الامم الاسلامية وتسلقها مرقاة التقدم

أهم باب يشغل صفحات مجلة المنار ـ شأن كل المجلات الاسلامية ـ هو المختص بالاجتهاد وبالتالي علم تطبيق الاحكام القرآنية . وهذا العلم عسر ومعقد الا انه يصعب أو يتعذر الاستغناء عنه لاجل النجاح في ادخال طرق الاصلاح بين قوم تمسكوا حرفياً بظاهر الآيات على ان كل الاعمال التي يقوم بها المصلحون المسلمون بين الطبقات الاسلامية ذات المدنية واهتمامهم الدائم متوقفة على توضيح وبيان أن أحد الاصلاحات ينطبق على الاوامر السماوية، أو أن احدى العادات هي من قبيل اساءة تأويل الاحكام القرآنية والسنن النبوية، وانه ينبغي نبذها أو تغييرها فتكون منطبقة على حقيقية الدين الاسلامي القويم، وبناء على ما تقدم اذا كان مسلمو العالم اتفقوا على الميل الى الحكومات الدستورية وتطلعوا اليها في هذه الايام فما ذلك الا لأن نخبة العقلاء منهم استطاعوا اقناعهم بان المبدأ الدستوري ليس غير مناف للعقيدة القرآنية فقط بل ان القرآن يأمر المسلمين بالشورى وتبادل الآراء لاجل ادارة الاشغال والمصالح العامة كما يتضح من آية (وشاورهم في الامر) . على ان الشورى هي أس المبدأ الدستوري . وعلى هذا النمط يجري المصلحون في الامور الاخرى. اهم أشارت الى ما جاء في بعض أعداد المنار من المباحث وهي (أوروبة والاسلام) و (امبراطور المانية والاسلام) ومقالة ترجمت من التوفي فريمة الروسية فيما قاله امبراطور ألمانية أمام المبشرين الكاثوليك الالمانيين في أفريقية .